ميزان القوى ومستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي

د. حسن نافعة

استاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة (القاهرة)

أشارت التقارير الصادرة عن مراكز الدراسات الاستراتيجية في العالم، وبعضها يحظى بسمعة عالمية طيبة، الى ان ميزان القوى بين العرب واسرائيل أصبح يميل، بشكل واضح، لصالح هذه الاخيرة. والمتتبع لهذه التقارير يمكن ان يستنتج، بسهولة، ان فجوة القوة بين الطرفين تزداد اتساعاً وبمعدلات متسارعة. ولا شك ان لهذا الوضع الخطير تأثيرات سلبية هائلة على مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

ومع ذلك، فما يزال الموقف العربي حول الاسلوب الأمثل للتعامل، فكرياً وسياسياً، مع هذا الوضع يتسم بالغموض وعدم الوضوح؛ اذ يتجاذب هذا الموقف تياران يقفان على طرفي نقيض: الاول، يرى انه لا مناص أمام العرب، في ظل الخلل الحالي في ميزان القوى، من القبول بتسوية سلمية لاستخلاص ما يمكن انقاذه من الحقوق العربية، لأن ما سوف يعرض عليهم غداً سوف يكون، بالضرورة، أقل ممّا يعرض عليهم اليوم.والثاني، يرى ان أي تسوية تتمّ، في ظل مثل هذا الخلل، سوف تسفر، لا محالة، عن تصفية القضية الفلسطينية، نهائياً، وفتح الطريق أمام اسرائيل للهيمنة على المنطقة بأسرها. وفي تقديرنا، ان أيّاً من هذين الموقفين لا يعكس فهماً سليماً لحقيقة ميزان القوى في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ولا للكيفية التي يمارس بها هذا الميزان تأثيره على مسار الصراع.

ودون الدخول في متاهات الارقام الخاصة بقياس طرفي ميزان القوى في معادلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، تحاول هذه الدراسة تحليل مفهوم ميزان القوى، بوجه عام، وما يثيره من اشكاليات سواء في ما يتعلق بدراسة الصراعات الدولية عموماً، أو في ما يتعلق بدراسة الصراع العربي ـ الاسرائيلي بشكل خاص، وتأثير الخلل في ميزان القوى بين العرب واسرائيل على مستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

مفهوم ميزان القوى

ما تزال العلاقات الدولية تستند، في جوهرها، على سياسة القوة. ومن ثم تحاول الاطراف الدولية المتصارعة حشد ما لديها من عناصر القوة المختلفة وتوظيفها لخدمة أهدافها، أصلاً، في حسم الصراعات لصالحها أو الحيلولة، على الاقل، دون تحقيق الخصم لأهدافه. في هذا السياق، يقصد بميزان القوى الأداة التي يستند اليها الباحث أو صانع القرار السياسي للتعرّف على أو قياس